الجزء الخامس

الفصل الثالث

"أسرعي أسرعي يا أختي.. لا أستطيع الصبر أكثر.. انني في كـل لحظـة أفكر وأتخيل كيف سأضمك الى صدري وكيف سأقبلك.. كـم قبلـة يـا سـلمى؟ احزري! ألف، ألفين، ليست كفاية.. ولكن لا سأحتفظ بها الى أن أتعافى"..

وراحت سلمى تردد الكلمات ودموعها تهمي.. ما عاد مـن أمـل فـي أن تراها.. لقد ضنت عليها الأيام حتى بهذا العزاء!..

فمنذ يومين، عند الأصيل.. والجو آرز وسلمى في تهويمة، واذا بهشام يهزها فتنتبه على أنين تصدره.. فتريث في صحوها.. كم هي ميسانة هذه الأيام! ولكنها تلمح عند الباب وافدين.. فتنفض الكرى وتستقيم في فراشها..

انه المسؤول الذي أبى أن يعطيها الخيمة، وبرفقته غريب.. ونظر اليها وقد انحدرت من عينيه دمعتان فكان فيهما أعمق معاني الأسى والأسف.. وابتـسمت سلمى مخففة عنه: "آسفة ليس من مقعد في البيت"..

- لا بأس.. لا بأس.. معي الدكتور "ر" رئيس مصح دمشق، فهل تسمحين أن يفحصك؟ ويقف في الدهليز حتى يتم الفحص، وأخذا بعده يتهامـسان فترة من الزمن، وكان الطبيب يسأل أمها متى انقطع النزف فتقول لـه: "منذ يومين بعد أن استمر سبعة أيام!" تقدم منها الطبيب وقـال: "أرى أن تذهبي الى المصح.. عندنا سرير شاغر" وأردف المسؤول: "ستلقين فيـه عناية خاصة"..

واختنقت الكلمات على شفتي سلمى: "ولكن..!" وقاطعهـا المـسؤول: "لـن تكوني على نفقة الإغاثة، بل على نفقة سوريا.. انك ضيفتها الغالية، وعليها أن تحرص عليك!..

وراحت سلمى تعبث بطرف ملاءة السرير وفي عينيها دمعة تجول.. وقـال الطبيب: هل أبعث لك بالسيارة غدا؟ فتجيب: "ليكن بعد الغد فلدي أمـور أود انجازها!"

"أسرعي أسرعي يا أختي.. لا أستطيع الصبر أكثر"..

"إصبري واصبري واصبري يا أخية.. فاربما لم ترعينك سلمى فـي مقبـل الزمن!"

وخنق صدرها الزحير ولم يخفف عنها سوى دموع أرسلتها بسخاء فضرجت عينيها..

وذكرت أن الدموع لا تجدي فقامت تغسل وجهها.. انها تشعر بنفسها قويـة نشيطة بعد أن انقطع النزف وكأنه كذبة تصحح نفسها!..

حسنا، ما يجب أن يمنعها هذا الوهن العام البسيط تشعره فـي مفاصـلها أن تذهب الى الإذاعة بنفسها وتحكم شؤونها، وتمول من بعيد هذا البرنامج الذي عهد اليها.. ستوهم جميع من يعرفها أنها مسافرة الى اللاذقية فما يجـب أن يدري أحد بخاتمة مطافها، فيبتئس أو يشفق عليها..

وحين راحت تذرع الشارع الطويل الى موقف السيارة ونفحتها الريح الباردة أحست بنشوة الحياة تسري في أوصالها.. يا للفرح! انها تسير على قـدميها وبغير إرهاق وبدون سعال.. وعند الموقف، راحت سلمى تريث ناظريها الى الساحة البليلة وقد ارتسم عليها بما انعكس من الأنوار الملونة ما يشبه أقواس قزح نضيرة الألوان.. إحساسها مشبوب مرهف لتذوق الجمال.. انها تحيـا من جديد! تعب الهواء ملء رئتيها.. يالسعادتها بعد أن أشرفت علـى وادي الظلال وكادت قدمها تنزلق فيه!.. ما بال الناس حولها يسيرون وكأن علـى أعينهم عصابة، مغلقين على همـومهم الـصغيرة؟.. الحيـاة فاتنـة رغـم مزعجاتها!..

وجذبها من سرحتها صوت خالد وهو يرمقها بإعجاب:

- أعلم لماذا تحبين السير معي..
- لماذا يا فيلسوف زمانه؟
- لتبدي فاتنة بالمقارنة الى حضرتي.. ضحكت سلمى ممازحة:
- يالك من فطين.. اكتشفت سرا عميقا من أسرار حواء.. انها في قرارتها لاتحب الشاب الوسيم الناعم.. فماذا يبقى لها لتدهشه وتبهجه؟

- وماذا تحب منه اذن؟
- الرجولة.. الرجولة يا أخي! وهذه ربما توفرت فيمن حظه ضـئيل مـن الوسامة بأكثر مما تتوفر لغيره.. فان ملكها ملك كـل الجاذبيـة وكـل الوسامة التي تتوق لها المرأة وتحلو في عينيها..
- وكيف تفسرين الرجولة؟
- رجولة الشكل ورجولة الأخلاق.. لامجال لإطالـة الحـوار.. الـسيارة قادمة!..

* * *